

By جمال لعبيد

Global Research, September 12, 2011

12 September 2011

كان يجب توقعه: الاستيلاء على طرابلس زاد من شهوات الحلف الأطلسي في بلدان عربية أخرى. وفي البلدان العربية بالذات، أعطى هذا الحدث قوة جديدة لأنصار التدخل الغربي. فبعد أن خشوا توكل الأطلسي في ليبيا ها هم يتهجون بالاستيلاء على طرابلس وينظرون إليه كتأكيد لسلامة تصوراتهم عن “الغرب”...

لكن كيف الابتهاج. كيف نتجاهل دخول المنتفضين طرابلس وهي تقصف من الحلف الأطلسي، فهو لا يشبه دخول ثورة شعبية منتصرة في شيء. كيف نغض الطرف عن كون الذين يصفقون لتدخل الأطلسي يصفقون للقوات العسكرية لنفس البلدان التي تقصف وتذبح في أفغانستان والعراق، تحمي الاستعمار الإسرائيلي وكانت قبل أشهر فقط تؤيد الدكتاتوريات العربية. كيف نصمت ولا نقول أن هذا الابتهاج يتسم بالقبح لأن المبتهجين يتقاسمون مع شخصية معادية للإسلام وللعروبة كبرنار هنري ليفي الذي هلك لقصف ليبيا كما هلك لقصف غزة ولبنان. سيأتي اليوم الذي يتوجب فيه على هؤلاء تفسير هذه التناقضات، بعد أن تكون قد تطورت حتما. سوف يتوجب عليهم أن يذكروا لنا الفرق بين التدخل العسكري في ليبيا والتدخل العسكري في العراق أو في أفغانستان حيث قدم نفس التبرير، ألا وهو الكفاح ضد الاستبداد ومن أجل الديمقراطية، ولماذا لن يؤدي، بصورة أو أخرى، إلى نفس النتيجة، ألا وهي نظام كارزايي، فاسد وفي خدمة أسياده.

إن الأحزاب والشخصيات التي تتبادل، في الجزائر والبلدان العربية الأخرى، التهاني بـ”انتصار” المنتفضين ولا تقول كلمة عن الانتصار الفعلي للحلف الأطلسي واقعة في حرج بين وإن كان السكوت علامة على الرضا.

ومع ذلك لنعترف بأن المسألة ليست بسيطة. فالوقوع في مثل هذا الفصام أو الانقياد إلى الصمت عن هذا المشهد من الواقع الليبي، عن حدث ضخم بحجم هذا التدخل العسكري الأجنبي الأول في شمالي أفريقيا منذ نصف قرن، هو بحد ذاته دليل على تعقيد الوضع وخطورة الأزمة التي فجرها التدخل الغربي في الصفوف الديمقراطية العربية.

حظيت الثورتان التونسية والمصرية بتوافق واسع واتسمت المرحلة التي أطلقتها بنوع من الرومانسية المميزة لبدایات الحركات التاريخية الكبرى. وهما ثورتان “نظيفتان”، بمعنى أن الأبخار والأشراق فيهما معروفون بوضوح ويبدو المجتمع فيهما موحدا، باستثناء قلة، فكان العرس الديمقراطي. وفاجأ حدوثهما القوى الغربية لكن سرعان ما غيرت هذه القوى توجهها جذريا وأعلنت تأييدها لـ”الربيع العربي”. كان ذلك ضروريا للانخراط فيه والتأثير عليه وتبرير التدخل.

إن التدخل الأجنبي يبدش إذن مرحلة ثانية من تاريخ الجاري للديمقراطية العربية، بدأت بالأزمة الليبية وهي تتطور حاليا عبر الوضع في سوريا وستشهد تطورات أخرى بكل تأكيد. وبلغ خداع السياسة الغربية الحالية وفسادها حدا جعلها تحصر الموضوع، لاسيما بواسطة حملة دعائية عنيفة للغاية، في الخيار الزائف التالي: إما حق التدخل وبالتالي ديمقراطية تحت الحماية الغربية أو الدكتاتورية والتسلط. وقد سقطت في هذا الفخ عناصر كثيرة تنتمي للنخب السياسية العربية. فإلى جانب أولئك الذين يرتبطون تقليديا بالغرب، توجد أصداء تلك الدعاية لدى قوى سياسية واجتماعية أوسع، سواء منها تلك القليلة النفوذ والأنصار في المجتمع - والتي لا ترى بالنتيجة أي حل آخر للتخلص من الدكتاتورية سوى “التحالف حتى مع الشيطان”، - أو تلك العديمة الصبر أو القوى التي أعياها طول المعارضة.

الآن ينقسم المجتمع حول مسألة الديمقراطية لأنه جرى إخلال مسألة أخرى محلها، مسألة الموقف من التدخل الأجنبي، ووقع خلط للأوراق بحيث أننا في الوقت الذي نعتقد فيه أن الحديث يدور حول الديمقراطية تبرز المسألة الوطنية، ومعها مسألة استقلال البلاد ومسألة الوحدة الوطنية. إن القوى الاستعمارية السابقة تعود لعرض حمايتها للطموحات الديمقراطية العربية، فتعيد الحماية الاستعمارية. هذا يفسر في نفس الوقت انتعاش نقاشات كانت تعد



Articles by: جمال لعبيد

**Disclaimer:** The contents of this article are of sole responsibility of the author(s). The Centre for Research on Globalization will not be responsible for any inaccurate or incorrect statement in this article. The Centre of Research on Globalization grants permission to cross-post Global Research articles on community internet sites as long the source and copyright are acknowledged together with a hyperlink to the original Global Research article. For publication of Global Research articles in print or other forms including commercial internet sites, contact: [publications@globalresearch.ca](mailto:publications@globalresearch.ca)

[www.globalresearch.ca](http://www.globalresearch.ca) contains copyrighted material the use of which has not always been specifically authorized by the copyright owner. We are making such material available to our readers under the provisions of "fair use" in an effort to advance a better understanding of political, economic and social issues. The material on this site is distributed without profit to those who have expressed a prior interest in receiving it for research and educational purposes. If you wish to use copyrighted material for purposes other than "fair use" you must request permission from the copyright owner.

For media inquiries: [publications@globalresearch.ca](mailto:publications@globalresearch.ca)